تُناجيهِ كَحلاءُ المَدامعِ حُرَّةٌ ... لها ذَنَبٌ ساجٍ وجِيدٌ مطوَّقُ
سَماكيَّةٌ كَدريَّةٌ عرعريَّةٌ ... شكاليَّةٌ عفراءُ سمراءُ سَمْلَقُ
اذا غادرَتْهُ تبتغي ما يُعيشُهُ ... كفاها روَاياها النجاءُ المبنَّقُ
عدَتْ تستقي من منهلٍ ليس دونهُ ... مَسيرةُ شهرٍ للقطا مُتعلَّقُ
لأزغبَ مطروحٍ بجَوْزِ تَنوفةٍ ... تَلظَّى سَموماً قيظُهُ فهو أورَقُ
تراهُ اذا أمسى وقد كاد جِلدُهُ ... من الحرِّ عن أوصالهِ يتمزَّقُ
غدَتْ فاستقلَّت ثمَّ ولَّت مُغيرةً ... بها حين تَرْهاها الجناحانِ أوْلَقُ
تُيمِّمُ ضَحْضاحاً من الماء قد بدَتْ ... دعاميصُهُ في الماء أطحَلُ أطرَقُ
فلمَّا أتتْهُ مُقْدَحِرًّا تقرَّبتْ ... تَقرُّبَ مجنونٍ فتَطفو وتغرقُ
تمرُّ وتُلقي في سِقاءٍ كأنهُ ... من الحنظلِ الماميِّ جزءٌ مُفلَّقُ
فلمَّا ارتوتْ من مائها لم يكن لها ... اناةٌ وقد كادت من الرمي تَبعقُ
طَمَتْ طموةً صُعْدًا ومدَّت جِرانَها ... وطار كما طار السحابُ المحلِّقُ

هذا ما أمكننا جمعهُ من آثار ذلك الشاعر وكفى بهِ دليلًا على فضله (الهُ صلة)

سياحة أثريَّة

في ماريا وتابوزيريس الكبرى وخرائب القديس ميناس

للخوري لويس ملحمه كاهن مواربة الاسكندرية واحد اعضاء الجمعية الاثرية فيها

ان للجمعية الاثريَّة في الاسكندريَّة غايةً سامية وهي العناية بامر العاديَّات التي

تُكتشف في دفائن ارضنا سواء كان في المدينة عينها او في ضواحيها وارباضها ودرسُها درساً تاريخيًّا اثريًّا . ومن حميد عاداتها انها تدعو كل سنة اعضاءها وعائلاتهم الى سياحة اثرية في جهة من الجهات التي اشتهرت بخطورة آثارها وتاريخها . وقد دعتهم هذه السنة الى سياحة من هذا النوع في مدينتي ماريا وتابوزيريس المريوطيتين في القِدَم وخرائب القديس مينا س الشهير المعروف وهي كلُّها في انحاء مريوط . وبما أننا من اعضاء الجمعية الموماً اليها قد لبَّينا تلك الدعوة العلميَّة بطيبة خاطر . ومن ثمَّ فقد رأينا ان ننشر على صفحات المشرق الزاهر تفاصيل هذه السياحة لما فيها من الفوائد الاثرية والتاريخية للقراء الكرام فنقول :

لقد احتشد المدعوون غلَس الاحد الواقع في ٩ آذار من السنة الجارية في اروقة المتحف الاسكندري وعددهم يربو على المائة وبينهم جناب المسيو برتشيا (M. Breccia) مدير المتحف المذكور ومن المعلوم انَّهُ ممَّن لا يُشَقّ لهم غبار في مضمار فنِّي الآثار والتاريخ . وبعد ان تأهَّبوا للرحيل ركب جميعهم السيَّارات التي اناف عددها على الاربعين . وما هي الَّا هُنَيهة حتى سار هذا الرَّتل من السيارات يخترق شوارع المدينة الى ان تجاوز محلة المكس

وهناك اخذت تبدو لنا بحيرة مريوط بلونها السَّمَنجوني البديع وحولها من المروج والحقول الخصبة ما يأخذ بمجامع الالباب . كيف لا وقد كسا الربيع تلك المروج حلَّةً زمرُّديَّة اللون تنتقها ازهار الاقاحيّ وشقائق النعمان . فاجتزنا هذه البحيرة التي لعبت دورًا خطيرًا في التاريخ اذ كان في اوساطها خلالَ العصر الروماني اليوناني ثماني جُزُر صغيرة وفيرة الخصب ابتنى فيها قوم من الاثرين يومئذٍ جوامعَ جميلة طوَّقوها بحدائق غنَّاء لسكنها في اجمل فصول السنة

وكانت تلك البقعة المريوطيَّة التي على عدوة البحيرة غنيةً بزراعة الكروم واشجار الزيتون وكان لها شهرة عظمى بنعومة ورق البردي الذي كان ينمو فيها بكثرة وقد وصف الكاتب اليونانيّ اتيناي خمر مريوط بعذوبة الحلاوة والخفَّة وطيب الرائحة واثبت الشاعر الروماني هوراس بان الملكة كليوباتره الشهيرة لم تفضل خمرًا في حياتها على خمر مريوط . وقال ڤرجيل الشاعر اللاتيني الكبير ان عنب مريوط كان مشهورًا بنصاعة البياض وزكاء التربة التي ينمو فيها . وقد عثر محمود الفلكي

في تلك الاراضي على بقايا معاصر ومجانع وصهاريج كانت معدّة بلا ريب لصنع الزيوت والخمور لكن اليوم قد غدت هذه المقاطعة مسكناً للبدو الذين يعيشون فيها من الزرع والضرع

وكانت مياه البحيرة قد غاضت في القرون الوسطى الّا ان الانكليز قد اعادوا المياه اليها في موقعة ابو قير المشهورة. اما في الاجيال المسيحية فقد بلغت البلاد الواقعة على شواطئ البحيرة شأواً بعيداً من العمران وقيل انهُ كان هناك للرهبان والنسّاك ما يزيد على ٦٠٠ دير او معهد. وما زلنا الى ان وصلنا الى موقع مدينة ماريا

١. ماريا وآثارها

كانت ماريا (Marea) هذه حاضرة البلاد المريوطيّة في ايام اليونان والرومان وهي قائمة في شبه جزيرةٍ جنوب بحيرة مريوط وقد ورد ذكرها في تاريخ هيرودوت وفي الكتابات الراقية الى عهد الفراعنة. وكانت تُعَدّ في زمانهم من مخافر الحدود المصرية وزعم ايزيدور المؤرخ ان الملك أماسيس شنّ الغارة فيها على بلاد اتيك ملك ليبية وهزمه شرّ هزيمة وذهب فريق من العلماء الى ان ابنة ايتوروس قد جعلها عاصمةً لملكه وفيها استعدّ لمحاربة الفرس في مصر السفلى

وقد كان لماريا هذه في ايّام البطالسة اهميّة كبرى من حيث مرفإها فانها كانت المستودع الخاصّ لتجارة البحيرة ومقاطعات مريوط كافّة وهي اليوم خراب يباب ينعق فيها الغراب. وبعد ان لبثنا هناك نحو ساعة من الزمن استقلّنا السيّارات ووجهتُنا تابوزيريس

٢. تابوزيريس الكبرى

زعم پاكو (١ في كتاب رحلته الى بلاد مريوط انهُ كثيراً ما حاول ان يعثر بين خرائب تابوزيريس (Taposiris Magna) (وهي ابوصير اليوم) على بقايا من المباني المصرية القديمة فلم يجد ضالّته المنشودة. وعندهُ ان قدماء المصريين لم يشيّدوا ابنيةً ولم يُنشئوا مدناً في البلاد المريوطية قبل احتلال اليونان لها وانّ قبل عهدهم كان

(١ Pacho: Relation d'un voyage dans la Marmarique, *Paris*, 1827

يقطن تلك البلاد قبائل رُحّل وغيرهم من الليبيين . ولم يُصِب باكو برأيه هذا لأن علماء الآثار قد عثروا في جهات مربوط على عاديّات قديمة يرتقي تاريخها الى رعمسيس الثاني مضطهد الاسرائيليين ومن ثمَّ وجب التسليم بانَّ قوماً متمدنين لا رُحّلاً كما زعم باكو قطنوا تلك الجهات قبل اليونان والرومان . وقد روى كليستان بان الاسكندر الكبير قد تفقَّد مدينة تابوزيريس في طريقه من الاسكندرية الى هيكل الاله أمون الواقع في صحراء ليبية البحيرة . امَّا الصَّرح الفخم الذي صبر على الزمان في تابوزيريس حتى الآن فانما هو هيكل اقامهُ البطالسة للاله اوزيريس وهو ذو شكل مربَّع الزوايا شيَّد المسيحيون في صحنه كنيسة صغيرة في القرون المسيحية الاولى كشفَ الغطاء عنها المسيو بريتشيا ابان الحرب الكبرى وكان طول الهيكل المذكور يبلغ ٨٦ متراً في مثله عرضاً ولم يبقَ منه الَّا جدرانهُ الخارجيَّة . وقد اكتشف هناك ايضاً كتابةً قديمة محفورة في قاعدة تمثال من الحجر الصوَّاني الاسود قدَّمه كهنة ذلك الهيكل الى إلههم اوزيريس

وقد كان لمدينة تابوزيريس من الأهميَّة ما لم يكن لمدينة ماريا المارّ ذكرها على عهد الرومان ففيها كان يقيم والي مصر ويحتمي سكَّان اقليم ليبية التابعين لولايته . وفيها ايضاً بنى الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس للميلاد قصراً فخماً لمجلس بلدية تلك المدينة وحمَّامات عمومية عفت آثارها

واذا ما وجَّهتَ نظرك من هذا الهيكل الى جهة الجنوب لاح لك جليّاً سدٌّ يزيد طولهُ على الكيلومتر وهو يتَّجه متوازياً من الشرق الى الغرب الى ان يتجاوز جسراً رومانياً قديماً . ومنهُ يتَّضح بان مياه البحيرة كانت واصلة الى تابوزيريس وان هذا السدَّ كان بمثابة حوض للمياه اذ كان لتابوزيريس مرفأان احدهما داخلي لترويج التجارة مع البلاد الكائنة حول البحيرة والآخر للوارد من الخارج والصادر اليه . وترى قرب الجسر المذكور أنفاً شارعاً عريضاً محكم التبليط يتَّجه نحو الهيكل بخط مستقيم يتوارى عند سيف البحر . ويؤكِّد البدو الخاربون في تلك الانحاء انه يتصل بشاطئ البحر . والغرض من إقامة هذا الشارع على الوجه الذي وصفناهُ كان بلا مراء لتسهيل المواصلات بين المرفإ البحري ومرفإ البحيرة كما تقدَّم

وفي غربي تابوزيريس برجٌ ذو طابقَين يبلغ مجموع علوِّه ١٧ متراً فالاوَّل منهما

يتألف من سطح ذي اربع زوايا أما الثاني فمثمن الاضلاع وفي الطبقة السفلى المتجهة نحو البحر آثار سلم يتصل بالطبقة العليا . وما لا شبهة فيه ان هذا البرج كان منارة لمرفإ مدينة تابوزيريس . وبعد ان تفقدنا هذه الآثار الجميلة بكل دقة عمدنا الى تناول طعام الظهر جلوساً على اعشاب تلك البرية . ثم استأنفنا ركوب السيارات قاصدين الى خرائب مدينة القديس ميناس (١

٣ خرائب القديس ميناس

سارت بنا السيارات بسرعة مدهشة وكان لمنظر الوهاد والهضاب التي تخترقها اوقع تأثير في النفوس . وما كدنا نبلغ تلك الآثار المسيحية الخطيرة حتى عرتنا سحة من الخشوع والوقار لدى ذكرنا المعجزات والخوارق التي كانت تجترح على يد ولي الله القديس ميناس الشهيد . ولا مندوحة لنا قبل الشروع بوصف هذه الآثار المقدسة من لمحة وجيزة في حياة هذا القديس العظيم تنويراً لأذهان القرّاء

وُلد القديس ميناس من والدين مسيحيين في مدينة (نيكيو) من اعمال مصر السفلى (٢ في النصف الثاني من القرن الثالث بعد المسيح وقد انخرط في سلك الجندية الرومانية وامتاز بين اقرانه بفضيلته ووطيد ايمانه . وبعد ان خدم بعض سنوات كجندي في الديار المصرية لحق بكتيبته في قوتية من اعمال فريجية . وإذ ذاك ديوكاسيانوس الاضطهاد ضد المسيحيين جاهر ميناس بإيمانه . فأخذ رؤساؤه يحثونه على جحد دينه واعتناق الوثنية تارة بالوعيد وطوراً بالتهديد لكن ميناس رفض بتاتاً الرضوخ لأمرهم فسدفعوه حينئذٍ للتنكيل به ثم قطعوا رأسه . وكان ذلك سنة ٢٩٢م . وكان قد رغب الى رفقته قبل موته ان يُدفن جثمانه في بلاد مصر مسقط رأسه فجمعوا بقايا جثمانه التي كانت قد أُلقيت في النار بعد قطع رأسه . وعندما عادت فرقة مدينة قوتية الى مصر وطنها حملت معها رُفات الشهيد ونزلت بها اولاً في

١) لقد اقتبسنا معظم ما اوردناه حتى الآن مما كان يقدمه علينا المسيو بريتشيا من المعلومات الأثرية التاريخية اثناء هذه السياحة العلمية ومن مذكراته الخصوصية ايضاً التي جمعها جنابه في مأمن على حياله وقد تكرم علينا به للاستفادة منه . فنسجل له اخلص الشكر ونحفظ له اجمل ذكر

٢) مدينة نيكيو او نيقيو هي بلدة منوف الحالية على الارجح

الاسكندرية ثم جعلتها على ظهر جمل وانطلقت بها الى جهات مريوط واذ بلغوا حدود البحيرة بَرَكَ الجمل ولم يَعُد يخطو خطوة الى الامام فأدركوا ان في ذلك المكان الكائن بالقرب من ينبوع عذب وجب دفن رُفات الشهيد . ثم ذاع في المسكونة ان ماء هذا الينبوع قد تحوَّل الى ماء عجائبي فاخذ الزوَّار والسيَّاح يقصدونهُ مع مَرْضاهم واعلَّتهم من كل قطر وفج للاستشفاء . وما عتموا ان بنوا فوق قبره كنيسة ضاقت بعد حين عن زوَّارها

فاتَّفق انهُ كان للامبراطور اركاديوس ابنةٌ عليلة فاستأتى لها من هذا الماء فبرئت بشربه من علتها حالًا . فامر على إثر ذلك بتشييد كنيسة فخمة هناك (٣٩٥–٤٠٨) طارت شهرتها في القرنين الخامس والسادس لكثرة إقبال الناس عليها . ولم تنحصر عبادة هذا القديس في مقاطعة مريوط بل شاعت في سائر انحاء القطر المصري وافريقية الشمالية وآسية الصغرى وبلاد الغاليين ودلماسية حتى رومية ايضاً حيث اقامت الجالية الاسكندرية المستوطنة هناك في ذلك العهد كنيسةً على اسم هذا القديس في ايام البابا بيلاج الثاني(١) . فلننتقل الآن الى وصف آثار معابد هذا القديس وما يحيط بها من بقايا الديرة وصوامع الرهبان

انَّ اوَّل من باشر حفريات منظَّمة في مدينة القديس مينا هو المدير ڤان الالماني في خلال سنة ١٩٠٥ فعثر اثناء حفرياته المتتابعة على الكنيسة التي شيَّدها اركاديوس كما مرَّ بك وعلى المعابد الصغرى التي حولها وعلى مدفن القديس نفسه وعلى عدَّة صوامع وصاعات من الدير الذي أقيم هناك لسكن الرهبان وعلى معاهد أقيمت خصيصاً لزوَّار الدير المذكور . وهذه كلها أخربةٌ جليلة تنطق بلسان حالها عمَّا كانت عليهِ قديماً من الفخامة وجمال البناء . ويبلغ طول كنيسة اركاديوس ٦٠ متراً في عرض ٢٦ وكان سقفها قائماً على ٥٦ عموداً من الرخام الناصع البياض تعلوها أكلة ذات نقوش بديعة . وكانت جدرانها مصفَّحة بالرخام ويُنحدر في وسطها بدرج رخامي الى سرب فيهِ معبدٌ صغير على ضريح القديس . ولهذا المعبد قبَّة رُصِّع داخلها بالفسيفساء المموَّهة بالذهب . وترى في صحن الكنيسة ايضاً صهريجاً كان الزوَّار

(١) طالع تأليف المسيو بريتشيا (Alexandria ad .egyptum) ص١٣١ وما اليها وكتاب الاب بول دوديان الفرنسيسي الصادر حديثاً (Les Saints d'Egypte) ج ٢ ص ٤٨١

يغترفون منهُ الماء العجائبي فيودعونهُ في قوارير فخّارنيّة يأخذونها الى بلادهم . وكانت تلك القوارير تُصنع هناك في أفران خصوصيّة. كشفت آثارها بعثة المسيو كوفان(١

امّا مقصورة العماد (Baptistère) فكانت على شكل مربّع الزوايا تعلوها قبة منقوشة بالفسيفساء المذهبة . وكان حوض التعميد فيها مستديرًا مصفّحًا بالبلاط المرمري النفيس . ويؤخذ من المخطوطات القديمة وممّا كشف من الآثار المسيحية المصرية الى الآن بان مقصورة العماد هذه كانت فريدة في نوعها وليس ما يُضاهيها اتقانًا وفخامةً بين ما وُجد من جنسها في وادي النيل حتى يومنا

واذا اضفتَ الى كنيسة اركاديوس المعابد الصغرى التي تحيط بها مع مقصورة العماد المذكورة بلغ طول جميعها ١٢٠ مترًا . وترى الى الآن معا تلف من البلاط وغيره من الحجارة المرمرية التي كانت في تلك المعابد قطعًا كثيرة من الرخام والمرمر مبعثرة هنا وهناك وقد نُقل قسم كبير من ذلك الى متحف فرنكفورت في المانية وقسم آخر يُصان اليوم في ردهات المتحف الاسكندري

امّا الكتابات القبطية التي وُجدت حتى الآن في تلك الخرائب فمعظمها باللغة اليونانيّة مع قليل بالقبطيّة وكتابة وحيدة باللاتينيّة ورد فيها اسم شخص يدعى كاسيانوس وعلى رأي المسيو كوفان انهُ غير كسيانوس الراهب الشاب الذي اتى من بيت لحم في السنين الاخيرة من القرن الرابع لزيارة رهبان مصر مع جرمانوس صديقهِ وقد طفنا في آثار الاديرة الملاصقة لمعبد القديس واذا هي لا نظير لها في كلّ

---

١) لقد جرت العادة عند قدماء المسيحيين ان يلتمسوا الشفاء لأعلّائهم امّا من ماء ينبوع كائن بالقرب من ضريح شهيد او من زيت المصباح المنار امام قبره . فالزوّار الذين كانوا يؤمّون المزارات الشهيرة كانوا بعد زيارتهم يعودون ومعهم قليل من الماء المبارك كما يصنع زوار مدينة لورد في ايامنا او بترٍ يسير من الزيت في قوارير مستديرة (Ampoules) . وهكذا قل عن زوّار القديس ميناس فانهم كانوا يأخذون القوارير من الدير حيث كانت تُصنع خصيصًا في الافران التي ذكرناها في المتن . وترى على القارورة غالبًا رسم القديس ميناس بزيّ جندي روماني منتصبًا بين جملَين وهو باسط يديهِ للصلاة . وقد وُجد عدد كبير من هذه القوارير في رومية وافريقة ودلماسية وغيرها دعاها الاثريون قوارير القديس ميناس الّا ان اكثرها وُجد في الاسكندريّة قبل اجراء الحفريّات في كنائس هذا القديس . وفي متحف هذه المدينة مجموعة بديعة من هذه القوارير . (انظر معجم الآثار المسيحيّة في مادة Leclercq : *Dict. d'Archéologie Chrétienne, art.* AMPOULE

عاديّات الاديرة المسيحية القديمة لأنّ مساحتها مع المعابد تشغل اربعين الف متر مربّع ولا يصعب على الاثريين تجديد رسم هذه الاديرة وابرازها للعيان . وقد كان بلا ريب لهذه الكنائس والمعابد التي كانت زاهرة في تلك الاحقاب من الصور والتماثيل والادوات الكنسية والمخطوطات ما لا يُعادلهُ ثمن . ولا بدّ من ان تكون ايدي السلب قد لعبت بقسم كبير منها الّا ان الامل لا يزال معقودًا بانه اذا استؤنفت الحفريّات يوماً في تلك الخرائب يعثر المنقّبون على اشياء كثيرة ذات قيمة (١)

هذا وقد غادرنا تلك الجهات الطافحة بالتذكارات التاريخيّة الجليلة وقفلنا عائدين الى الاسكندرية فوصلناها عند الساعة السابعة مساء شاكرين المولى عزّ وجلّ على تسهيلهِ لنا طريق هذه السياحة الاثرية

مطبوعات شرقيّة جديدة

Jean Lemoine S. J. : L'Orientalisme oriental au tournant de son histoire. *Les Etudes religieuses*, 15 *Mars et* 15 *Avril* 1923

مرائيّة الشرقيّة في طورها الاخير

حضر مؤلف هذه المحاضرة الى بلاد الشرق قبل سنتين ليفحص ما صارت اليهِ احوال النصرانيّة بعد الحرب . فهذه نتيجة ابحاثهِ دوّنها في المجلّة البلجيكيّة العموميّة وقد قدّم عليها نظرًا حسناً عن احوال النصرانيّة في الشرق منذ عهد ملوك الروم ثمّ في زمن العرب والاتراك وما طرأ عليها من النوائب في تلك المدّة ثمّ ألحقها بوصف مدقّق لما صارت اليهِ في الحرب الاخيرة بظلم الاتراك ثمّ بعدها بانماش آمالها في الفوز واخيرًا بخيبة تلك الاماني بالفوز التركيّ وضعف اوربّة في مؤتمر لوزان حتى كادت النصرانيّة تبلع التراقي في قيليقية والاناضول وما بين النهرين . والله يعلم ما ستكون

(١) من اراد مزيد بيان على ما اوردناه فليطالع كتاب المسيو كوفان وهو :
KAUFFMANN : La découverte des Sanctuaires de S. Ménas dans le désert de Mariotis, *Alexandrie, 1908*